أناسي للعلوم الإنسانية

دراية للعلوم الإنسانية

تلخيص كتاب

علم الاجتماع العائلي

د.محمد العبد الله – د.بهاء الدين تركية

إعداد: أناسي للعلوم الإنسانية

1446 -2025

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعد علم اجتماع العائلة أحد ميادين علم الاجتماع العام، وهو كغيره من العلوم له موضوعاته، وأساليبه، وطرائقه الخاصة به.

إن موضوع العائلة موضوع حساس كونه يثير كثيراً من القضايا والمسائل الاجتماعية الأسرية، على الرغم من ذلك لم يتوصل علماء الاجتماع إلى تعريف واضح شامل جامع ومانع لها، لكن العائلة تبقى دعامة كبرى من دعائم المجتمع، وركيزة أساسية فيه رافقت تطور المجتمعات منذ زمن بعيد. إنه علم يدرس الحوادث والتغيرات الاجتماعية ضمن العائلة، كأنماط الزواج وعلاقات القربى، ومسائل التنشئة، والخصائص التي تقوم بها العائلة، والعوامل التي تؤثر وتتأثر فيها. ويدرس الطلاق والزواج، والمشكلات الأسرية بشكلها العام. ويهتم بتفسير العلاقات المتبادلة بين الأسرة باعتبارها نسق اجتماعي وبقية الأنساق الاجتماعية الأخرى، كما يدرس بعض الظواهر الاجتماعية كتعدد الزوجات، وطبقات المحارم، التي تحدد الزواج من الأقارب، والعلاقات بين الآباء والأبناء، والعنف الأسري، والسعي من أجل مجابهة التغيرات التي تطرأ على العائلة، والتي تعود لأسباب التطور، والثورة التكنولوجية التي أحدثت كثيراً من التطورات التي تركت بصماتها ضمن نطاق العائلة.

لذلك تحتل الأسرة مكانة هامة في علم اجتماع العائلة، كونها من أبرز الموضوعات التي يدرسها، فهي أصغر خلية في المجتمع، وهي أساس بنائه، وتتميز بأنها أصغر حجماً من العائلة، فالعائلة أشمل وأعم منها. إن النظام الأسري من أكثر الأنظمة شيوعاً. إذ يصعب تطور حالة الإنسانية دون وجودها ضمن أسر تحقق الاستقرار النفسي لأفرادها، فهي الملجأ الأساسي الذي يحتمي به الإنسان من العوارض التي تعترض طريقه عبر الحياة، فهذه المكانة التي تتميز بها الأسرة، دفعت الدول كافة عبر سياساتها للعمل من أجل الحفاظ عليها، وإعلاء شأنها، لتبقى سليمة مستقرة.

يرى الباحثون أن الأسرة هي الخلية أو اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع وانهار بنيانه.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن موضوع الأسرة يدخل ضمن اختصاص علم اجتماع العائلة، ولو استعرضنا التاريخ البشري وآراء المفكرين والعلماء يلاحظ القارئ أنهم ربطوا استقرار المجتمع وتطوره باستقرار الأسرة وتطورها، فموضوع العائلة على درجة بالغة من الأهمية من حيث التصاقه بحياة المجتمعات الإنسانية وتطورها عبر مراحل التاريخ.

ومن هنا تأتي أهمية هذا العمل الفكري الأكاديمي المتواضع الذي انصبت فيه آراء الباحثين المؤلفين له ليشكل رصيداً فكرياً لدى مكتباتنا ولدى طلبتنا في اختصاص علم الاجتماع.

المؤلفين

أصل الأسرة

ظهرت العديد من الآراء والنظريات الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية التي تحاول تفسير نشأة الأسرة وتطورها، ولكن الهوة لا زالت واسعة بين هذه النظريات، إذ إنه لا يزال لايعرف متى بدأت الأسرة، فالبعض يعتقد أنها بدأت منذ مليوني سنة، والآخر يرى أنها ظهرت قبل عشرة آلاف سنة.

إضافة إلى أنه لا يعرف هل بدأت الأسرة قبل، أو مع، أو بعد تطور اللغة، إذ إن اللغة تعد متغيراً هاماً وأساسياً لنشأة العلاقات الاجتماعية وتطورها.

الأسرة في نظر الفلاسفة

اهتم المفكرون منذ أقدم العصور بدراسة شؤون الأسرة للوقوف على طبيعتها وطبيعة مشاكلها، ومحاولة إصلاح المعتل من شؤونها؛ لأنها أدق جهاز في جسم الدولة، ولا يمكن أن تستقيم أمور الدولة وتتخلص من مظاهر الفوضى والانحلال التي تنتابها إلا إذا استقر النظام الأسري على أرسى ما تكون القواعد

لذلك فهم لم يدرسوا الأسرة لذاتها وبصفة مستقلة، ولكنهم درسوها في ثنايا دراستهم لشؤون الدولة بالإجمال، وبالرغم من قصور تلك الدراسات في الكشف عن حقيقة الاجتماع الأسري وفي معالجة مشاكله؛ غير أنها أفادت ميدان البحث النظري، ووضحت بعض جوانب الموضوع، وأوقفتنا على دقائق الجهاز الأسري، ولا بأس أن نعرض لأهم هذه الدراسات الفلسفية.

1 كونفوشيوس

نجد أول بحث فلسفي منظم في شؤون الأسرة لدى الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس"، فقد لمس أهمية الأسرة في النظام الاجتماعي، ومبلغ ارتباط التطور، الاجتماعي بتطورها، فدرسها محاولاً الوصول إلى حقيقتها، وكانت دراسته مشبعة بروح الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاقية الشعب في نظره هي المطلب الأسمى وغاية الغايات، لذلك نجد أن الفلسفة الكونفوشية في مجموعها ترتكز على الأخلاق، وتستمد منها دعائمها. وكانت هذه الدعوة أو الصيحة من جانب كونفوشيوس رد فعل لضعف البواعث الأخلاقية في زمانه وانتشار الفوضى، والتيارات الشكية التي وهنت من النظم الاجتماعية، وأنذرت المجتمع بالانحلال.

وترتكز الأسرة الفاضلة عنده على الدعائم الآتية:

1 التضامن الطبيعي بين عناصرها	2 طاعة الأبناء للآباء والزوجات للأزواج.
3 التطهير والإخلاص والمعرفة	4 المشاركات الوجدانية بين عناصرها كالمحبة والشفقة والعطف

ويرى أن عدم توفر عنصر من العناصر المشار إليها يهز دعائم الأسرة ويؤدي إلى انحلالها، ولذلك نراه يناشد المسؤولين للعمل على تدعيم هذه العناصر، واتخاذ الوسائل التي تكفل الحرص عليها، وتنأى بها عن عوامل الفساد، وقال: إن الإلزام الكلي الذي أودعته العناية الإلهية في الكون ينطوي على تقرير خمسة واجبات وهي:

واجبات بين الملك ووزيره؛ وبين الوالد والابن؛ والزوج والزوجة؛ والأخ الأكبر والأخ الأصغر؛ والعلاقات المتبادلة بين الأصدقاء. ولا تتأتى هذه الواجبات عملياً، بصورة فعلية إلا عن طريق ثلاث فضائل، هي: المعرفة؛ والشهامة (المروءة)؛ وقوة العزيمة.

2 أرسطو

الأسرة عنده هي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، "إذ من الضروري أن يجتمع كائنان لا غنى لأحدهما عن الاخر: أي اجتماع الجنسين للتناسل، وليس في هذا شيء من التحكم؛ ففي الإنسان كما في الحيوانات الأخرى والنبات نزعة طبيعية، وهي أن يخلف بعده موجوداً على صورته" فالاجتماع الأول والطبيعي في كل الأزمنة هو "العائلة"، وحيث جتمع عدة عائلات تنشأ القرية، ثم المدينة، فالدولة.

وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والبنين والعبيد. (الأرقاء)، وقد عينت الطبيعة المراكز الاجتماعية المختلفة لكل هؤلاء، فالطبيعة الحريصة على بقاء النوع قد خلقت بعض الكائنات للسيطرة والسيادة، وبعضها للخضوع والطاعة. فالكائن المزود بالعقل يحكم ويأمر بوصفه سيداً، والكائن المزوّد بالقوة العضلية والجسمانية ينفذ الأوامر ويخدم كما تخدم الدواب. وفي ضوء هذه الاعتبارات يضع أرسطو الرجل على رأس الأسرة، فهو سيدها. أما المرأة فأقل عقلاً وذكاء.

تعريف الأسرة:

مع أن الأسرة هي من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع، ليس لاصطلاح الأسرة تعريف ومعنى واضحان يتفق عليهما العلماء، لهذا تعددت تعريفات الأسرة بتعدد العلماء واتجاهاتهم النظرية والفكرية.

الأسرة في اللغة هي: الدرع الحصينة، وأهل الرجل، وعشيرته. وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أُسَر، وجاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معاً بروابط الزواج، والدم، والتبني، ويتفاعلون معاً، وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة، وبين الأم والأب، وبين الأم والأب والأبناء. ويتكون منهم جميعاً وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة.

وقد عرفها عدد من الفلاسفة بتعريفات مختلفة، وفي العموم، يمكن أن نعرف الأسرة - التي تقابل كلمة Famille باللغة الفرنسية، وكلمة Family باللغة الإنجليزية - على النحو الاتي:

1- الأسرة هي أهم جماعة أولية في المجتمع.
2- تتكون من عدد من الأفراد يرتبطون معاً بروابط الزواج (في ما هو الحال بين الزوج والزوجة)، أو الدم (في ما هو الحال بين الآباء والأبناء، والأقارب)، أو التبني (في ما هو الحال بين الطفل المتبني، وبين أفراد الأسرة).
3- يقيمون جميعاً في منزل واحد، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة.
4- ويتفاعل أعضاء الأسرة وفقاً لأدوار اجتماعية محددة (دور الزوج والزوجة، دور الأب والأم، ودور الأخ والأخت).
5- تقوم بينهم التزامات متبادلة اجتماعية، وقانونية، واقتصادية.
6- يترتب على ذلك حقوق وواجبات بين أعضاء الأسرة، منها رعاية الأطفال وتربيتهم.
7- وتقوم الأسرة بالمحافظة على نمط ثقافي خاص بها مستمد من النمط الثقافي العام.

وتجدر الإشارة إلى أن الأسرة بوصفها جماعة مكوّنة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون في مسكن واحد، يختلف عن العائلة بوصفها جماعة تقيم في مسكن واحد، ولكنها تتكون من الزوج والزوجة، وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين، والأولاد المتزوجين، وأبنائهم، وغيرهم من الأقارب: العم والعمة، والابنة الأرملة الذين يقيمون معاً في المسكن نفسه، ويعيشون حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة.

عرض تاريخي لتطور الأسرة الإنسانية:

مسألة نشأة الأسرة الإنسانية وتطورها ما زال يكتنفهما كثير من الغموض، فليس لدينا حتى الوقت الحاضر تاريخ سليم، وشامل لنظام الأسرة يغطي مراحل تطورها منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر، ولم يوجه المؤرخون عامة، ولا علماء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي عناية كافية إلى هذا الموضوع.

على رأس القائلين بالمذهب التطوري لويس مورغان Lewis Morgan الأمريكي (1818-1881)، فقد ذهب إلى أن النظام الأساسي قد مر مثل أي نظام اجتماعي في مراحل هي:

1- مرحلة الشيوعية الجنسية التي يمكن الإنسان أن يعرف فيها نظام الزواج، بل كانت العلاقة بين الرجل والمرأة حرة طليقة من أي قيد.
2- المرحلة الثانية، وهي مرحلة الزواج الجمعي الذي يبيح أن يتزوج جمع من الرجال من جمع من النساء.
3- مرحلة ثالثة كانت القرابة فيها تتبع نسب الأم.
4- مرحلة رابعة كانت القرابة فيها تتبع نسب الأم.
5- وأخيراً، يصل المجتمع إلى مرحلة الأسرة الثنائية المكونة من الأب والأم.

وفي العموم، نحن لا نعلم شيئاً يقينياً عن نطاق الأسرة وحقيقتها، في المجتمعات الإنسانية الأولى، ولكن جرت عادة بعض علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن يعدوا بعض الشعوب البدائية، خاصة السكان الأصليين لأستراليا وأمريكا ممثلة إلى حد ما لما كانت عليه الإنسانية في فجر نشأتها، وهذا راجع إلى كون هذه الشعوب ظلت ردحاً من الزمن بمعزل عن التيارات الحضارية الكبرى التي توالى ظهورها بين سكان القارات القديمة.

وهو الأمر الذي ساعد هذه الشعوب على البقاء جامدة على حالتها القديمة، أو ما يقرب منها، ولكن هذا لا يعني أن هذه الأخيرة قد أفلتت من ناموس التطور والتغير لذي يشكل سنة جميع الشعوب الإنسانية، وإن اختلفت درجة تطورها الحضاري. ومعنى ذلك أن بعدها النسبي من التيارات الحضارية قد مكنها من الاحتفاظ بكثير من النظم التي سارت عليها المجتمعات الإنسانية في أقدم عهودها.

أنماط الأسرة

نختلف أنماط الأسرة باختلاف المجتمعات الإنسانية، ولا يوجد أي مجتمع يقتصر على نمط واحد فقط من الأسر لا يعرف سواه، بل تتنوع الأنماط الأسرية بحسب المناطق الجغرافية، والظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية داخل كل مجتمع.

وفي العموم، درج الباحثون على تصنيف الأنماط الأسرية، وفقا للآتي:

1- من حيث الانتساب الشخصي:

هناك نوعان من الأسر:

أ- أسرة التوجيه Famille d' orientation وهي التي يولد فيها الإنسان، فتقوم بإكسابه العادات والتقاليد، والمعايير الاجتماعية، والقيم، وتعمل على إعداده لأداء دور في المجتمع.

ب- وأسرة التناسل Familli de procréation، وهي التي يكونها الإنسان عن طريق الزواج والإنجاب.

2- من حيث الإقامة:

تشكل قاعدة السكن أنماطا أربعة من الأسر:

أ- الأسرة التي يقيم فيها الزوجان مع أسرة والد الزوج. patrilocale

ب- الأسرة التي يقيم فيها الزوجان مع اهل الزوجة. Matrilocate

ج- وفي بعض المجتمعات يترك للزوجين حرية الاختيار بين مسكن أهل الزوجة أو مسكن أهل الزوج .Bitocate

د- وقد يسكن الزوجان بعيداً عن أهلهما في مسكن جديد مستقل.

3- من حيث السلطة في الأسرة:

توجد أربعة أنماط من الأسر

أ- الأسرة الأبوية: التي يكون فيها للأب سلطان واسع على أبنائه، وزوجاتهم وأولادهم patriarcale

ب- الأسرة الأمية: التي تكون فيها السلطة للأم . Matriarcale

ج- الأسرة البنيوية: التي يسيطر عليها أحد الأبناء Filiarcale.

د- الأسرة القائمة على أساس المساواة والديمقراطية Egalitaire.

4- من حيث الشكل:

عرفت المجتمعات البشرية أشكالاً كثيرة للأسرة، نذكر منها الآتي:

أ- الأسرة النووية أو النواة: Famille nuclaire:

ويطلق عليها أيضاً اسم الأسرة الزوجية أو الزواجية Famille conjugate، واسم الأسرة البسيطة Famille simple.

وهي أصغر وحدة قرابية في المجتمع، وتتألف - فيما سبق أن ذكرنا - من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين يسكنون معاً في مسكن واحد، وتقوم بين أفرادها التزامات متبادلة اقتصادية وقانونية واجتماعية، وهي بحق ظاهرة إنسانية عالمية، إذ ثبت وجودها في كل مراحل التطور البشرية، وتعد النمط المميز للأسرة في المجتمع المعاصر .

إن مكانتها في المجتمع قد تتفاوت من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ومن مستوى اجتماعي إلى آخر، وحجمها قد يزيد أو ينقص، ولكنها هي الظاهرة العالمية الأساسية.

وفي العموم إن الأسرة النووية تتميز بالآتي:

1- إن الأسرة النووية توجد في المجتمع إما بشكل وحيد سائد، أو بكونها الخلية الأساسية التي منها تتكون أنماط أسرية أخرى أكثر تعقيداً أو تركيباً.

2- وهي في كل مكان متشابهة إلى حد كبير.

3- يخيم الجو الديمقراطي عامة على الأسرة النووية؛ لتساوي منزلة الزوج مع منزلة زوجته، في حين يخيم الجو الديكتاتوري على الأسرة الممتدة، باتخاذ الإجراءات.

خصائص الأسرة

مع أن النظام الأسري يختلف غالبا من مجتمع لآخر، هناك عدد من الخصائص تشترك فيها الأنظمة الأسرية، ومنها الآتي:

1- الأسرة ظاهرة ذات وجود عالمي، فقد وجدت في جميع المجتمعات وفي كل مراحل النمو الاجتماعي، لهذا هي أكثر الظواهر الاجتماعية عموماً وانتشاراً، وهي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية.

2- تقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع، فهي ليست من صنع الفرد، ولا هي خاضعة في تطورها ما يريده القادة والمشرعون، أو يرتضيه لها منطق العقل الفردي، بل إنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعي واتجاهاته، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة، وتتطور وفق نواميس ثابتة لا يستطيع الأفراد سبيلاً إلى تغييرها أو تعديل ما تقضي به، وأن القادة والمشرعين ليسوا في هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين لرغباتها، وما هيئت له.

3- الأسرة هي بالضرورة جماعة محدودة الحجم، ومن أصغر هيئات المجتمع. ونلاحظ أن الإقامة المشتركة، والالتزامات القانونية والاقتصادية والاجتماعية المتبادلة بين أفرادها هي قواعد أساسية لقيام هذه الوحدة الاجتماعية.

4- تعد الأسرة الخلية الأولى للمجتمع، وهي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل، ويعيش فيها السنوات الأولى من عمره، والأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي بدأ فيها الطفل يتعرف إلى نفسه، وإلى الآخرين، ويعرف ما يجب القيام به، ويتلقى فيها الثواب والعقاب.

وظائف الأسرة

يلاحظ أن الأسرة في تطور وظائفها منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث قد تطورت من الاتساع والكبر إلى الضيق والصغر، ففي العصور القديمة كانت الأسرة تقوم بكل شيء، وذلك بالقدر الذي تقتضيه حاجاتها، فكانت هيئة تقوم بإنتاج ما تحتاج إليه، وتشرف على شؤون التوزيع والاستهلاك والاستبدال الداخلي، وكانت تعمل جاهدة على أن تكفي نفسها بنفسها، فتنتج ما تحتاج إليه، ولا تستهلك إلا بقدر إنتاجها، وكانت تمثل جميع الهيئات الاقتصادية التي تتمثل في العصر الحاضر في المصارف والمصانع، والشركات، وتشرف على جميع شؤونها المادية.

وكانت الأسرة إلى جانب ذلك هيئة تشريعية، فهي التي كانت تضع الشرائع، وترسم الحدود، وتمنح الحقوق وتفرض الواجبات، وكانت إلى جانب ذلك هيئة سياسية تنفيذية وقضائية تفصل في المنازعات بين الأفراد، وتعمل على رد الحقوق إلى أصحابها.

ثم كانت هيئة دينية وهيئة تربوية، فهي التي كانت تضع قواعد العقيدة، وتفصل أحكامها، وهي التي كانت تضع النظم الخلقية، وتميز بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وترسم مقاييس الأخلاق، وهي التي كانت تقوم بتربية الأطفال من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، وتهيئ وسائل إعدادهم للحياة المستقبلية، وتلقن الطفل لغة قومه، وتنشئه مطبوعاً على عاداتها وتقاليدها، ثم تصقل، وتكيف الأعضاء الجدد بثقافة المجتمع، وتنتج أعضاء جدداً. وقد ظلت الأسرة الإنسانية محتفظة بهذه الوظائف الواسعة إلى عهد قريب، ولكنها نتيجة لزيادة التخصص، وتعقد المجتمع الحديث، والنمو المستمر في التنظيمات البيروقراطية وإثباتها أنها أكفأ من غيرها من التنظيمات في تحقيق الأهداف المجتمعية، وفي إشباع الحاجات الفردية، بدأت هذه التنظيمات في أخذ وظائف الأسرة واحدة بعد الأخرى، وتنشئ لكل وظيفة منها هيئة خاصة على أسس مستقلة، فانتزع المجتمع العام من الأسرة الوظيفة التشريعية، و أنشأ للإشراف على شؤونها هيئات مستقلة تشرع للأمة جمعاء، وتتمثل في المجالس النيابية وما إليها.

وانتزع منها أيضاً السلطة التنفيذية، وأنشأ للإشراف على شؤونها هيئات خاصة تتمثل في الحكومات، وتضطلع بالأمور السياسية، وتطبق أحكام القانون، وانتزع منها أيضاً الوظيفة الدينية، وأنشأ للإشراف على شؤونها هيئات خاصة تتمثل في رجال الدين، وفي المؤسسات الدينية، ومنها الجوامع والكنائس وما إليها، وانتزع منها أيضاً معظم وظائف التربية والتعليم، وأنشأ للإشراف عليها هيئات خاصة تتمثل في وزارات التربية والتعليم، والمدارس والمعاهد، والجامعات. وانتزع منها أيضاً الوظائف الاقتصادية وأنشأ للإشراف عليها هيئات خاصة تتمثل في المصانع، والشركات والمصارف، والمؤسسات الاقتصادية، والمالية وغيرها، وبذلك أصبح الفرد لا ينتج لنفسه ولا لأسرته فيما كان يفعل سابقاً، وإنما ينتج للمجتمع، ويستهلك من إنتاج غيره.

ولكن هل يعني ذلك أن الأسرة قد تجردت من وظائفها؟ الواقع أنه مع ما فقدته الأسرة من وظائفها السابقة، لا تزال تؤدي وظائف أساسية انحدرت إليها من الماضي وتطورت لتتلاءم مع الظروف والأوضاع المتغيرة، وهذه الوظائف تتلخص في الآتي:

- تنظيم السلوك الجنسي.
- التناسل.
- منح المكانة الاجتماعية.
- ممارسة الضبط الاجتماعي.
- الأسرة وسيلة من وسائل التقارب.
- الأسرة وحدة اجتماعية منتجة ومستهلكة.
- الأسرة هي المكان الطبيعي لنشأة العقائد الدينية واستمرارها.
- التنشئة الاجتماعية.

التوافق الزواجي وعلاقته بتكوين الأسرة:

الأسرة العربية دعامتها الرئيسية ونقطة ارتكازها هي عملية الزواج. ولا توجد أسرة بحسب المفهوم الثقافي الحاكم والمستمد من الأديان السماوية عامة والدين الإسلامي على وجه الخصوص من دون أن يكون الزواج هو الركيزة والأساس الذي ينهض عليه البناء الاجتماعي كله. والأسرة هي الخلية الجذعية لكل بنية اجتماعية تالية، أو نسق سياسي اقتصادي أوسع، سواء كانت هذه البنية أسرة، أو عشيرة أو قبيلة أو مؤسسة سياسية، اقتصادية، أو اجتماعية، يضمها المجتمع العربي الحديث.

وظلت الأسرة تمثل الخلية المستقرة نسبياً طوال القرون الماضية منذ ظهور الإسلام، وحتى الآن. والمرجعيات الحاكمة للأسرة من حيث البنية والوظيفة وتحديد الأدوار جميعها مرجعيات دينية. العرف أو القانون الحاكم لها مستمد مباشرة من الأديان السماوية. ساعد هذا الوضع على المحافظة على الثبات النسبي لهذه المؤسسة الأساس، ولم ينلها التطور أو التغيير طوال قرون عدة، ولم تتم مناقشة شؤونها أو أسسها بعيدا عن العقيدة الدينية.

التوافق الزواجي:

هو حالة الزواج الذي تكون فيه اتجاهات الزوج والزوجة وتصرفاتهما متفقة علي الموضوعات الرئيسية في الزواج، مثل: تدبير الأمور المالية، والتعامل مع الأقرباء، ويكونان أيضا متوافقين في الاهتمامات والأهداف والقيم، وهما على نفس الدرجة من إظهار العوامل والثقة المتبادلة، ولديهما تذمر اقل أو لا يتذمرون من زواجهما، أو يعني وجود بعض السمات لدي الزوجين، كالميل إلى تجنب الصراعات، أو حل الصراعات والشعور بالرضا عن الزواج، وشعور الزوجين بالرضا، رضا احدهما عن الآخر، والمشاركة في الفعاليات والاهتمامات، وتحقيق توقعات الزوج والزوجة، أو هو التحرر النسبي من الصراع والاتفاق بين الزوج والزوجة علي معظم الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة، وتبادل عواطف.

التوافق الزواجي من منظور إسلامي.

تعد الزوجية سنة من سنن المولى عز وجل في الخلق، فلا يشذ عنها مخلوق، فكل مخلوق يبحث عن زوجه ويسعى إليه، قال تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ". سورة الذاريات آية (49) بل إنها الأسلوب الذي اختاره الخالق للتكاثر واستمرار الحياة، بعد أن خلق الله الرجل (الزوج) والمرأة (الزوجة)، وأعدهما للزواج، وهيأ كليهما للقيام بدوره بطريقة إيجابية لتحقيق الاستقرار والاطمئنان الذي يسعى إليه كلاهما، ومن ثم يعبد الله حقّ عبادته قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " سورة الحجرات آية (13).

لهذا حثَّ الإسلام على الزواج، بل حرَّم العزوف عنه، إن الإسلام حرَّم ترك الزواج حتى لأسباب دينية كما يزعم بعضهم، لاسيما إذا كان المسلم قادرا على الزواج ومتمكِّنا منه، فقد رُوِيَ عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: " مَن كان موسِرا لأن يَنكحَ ثم لم يَنكحْ فليس مني"، لذلك أشبع الإسلام غريزة الجنس من خلال الطريق الشرعي، مما يقوي الحاجة إلى الزواج الإسلامي، فهو المتنفس الذي يجده الفرد لإشباع غريزته، لهذا قال تعالى: "وَأنكحوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " سورة النور آية (32)، وذلك حثا على الزواج، وحسن اختيار الزوجين بعضهما لبعض.

مقومات التوافق الزواجي:

تتعدد العوامل المرتبطة بالتوافق الزواجي، واختلف الباحثون حول التصنيفات المختلفة لهذه العوامل، فيرى البعض تقسيمها إلى عوامل فردية؛ وعوامل اجتماعية، ويرى آخرون تصنيفها إلى عوامل نفسية؛ وعوامل ثقافية واجتماعية - وقد رأى الباحث عرض العوامل المؤثرة في التوافق الزواجي على النحو التالي:

1. طفولة الزوجين:

تؤثر خبرات الطفولة لكل من الزوجين على توافقهما الزواجي سلبًا أو إيجابًا، فالطريقة التي عومِل بها كل منهما في طفولته من والديه، ومدى تعرضه للثواب أو للعقاب. -مثلًا-

2. الشخصية:

يتأثر التوافق الزواجي بشخصية كل من الزوج والزوجة، سواء في تدعيم التوافق الزواجي، أو في خلق نوع من الصراع والتوتر، الذي يهدد العلاقة الزوجية، كما تتأثر بدرجة اختلافهما الانفعالي أمام المواقف والأحداث التي تمر على الزوجين، أو بدرجة الشعور بالقلق وعدم القابلية للتكيف مع المتطلبات الجديدة للحياة الزواجية.

3. العمر عند الزواج:

إن تناسب الزوجين في سن الزواج يعد من العوامل المساهمة في توافقهما الزواجي، ذلك لأن تقارب العمر يؤدي إلى تفهم كل منهما لاهتمامات واتجاهات وسلوك الآخر.

4. الخبرات المرتبطة بالزواج:

تتأثر العلاقة الزوجية بالخبرات السابقة لكل من الزوجين، فالأزواج الذين عاشوا في أسر سعيدة غالبًا ما يكونوا أزواجًا سعداء، حيث ارتبطت السعادة الزوجية للوالدين بتوافق الأبناء زواجياً، فغالبًا ما يستقي الشباب توقعاتهم عن الزواج من والديهم.

النقاط المهمة لإنجاح العلاقة الزواجية:

5. الإشباع الجنسي:

يتمثل التوافق الزواجي في إشباعه للدوافع الجنسية، فالعلاقة الجنسية من العوامل التي تقوي الرابطة بين الزوجين، وهي إما أن تكون وسيلة للحب، أو وسيلة للنفور.

6. الإنجاب:

الإنجاب أحد العوامل التي تحقق التقارب والحب بين الزوجين، وينشىء رابطة بالغة العمق بينهما، ومن ثم يساهم في تحقيق توافقهم النفسي والزواجي؛ فالأطفال ثمره لقاء مشبع وحب متبادل وترقب مشترك، وهم أحد العوامل التي ترسخ الاستقرار في الأسرة، وتحقق التقارب والحب بين الزوجية، الأمر الذي يسهم في تحقيق التوافق الزواجي بينهما.

النقاط المهمة لإنجاح العلاقة الزواجية:

إن التوافق الزوجي ليست له شروط صارمة أو شديدة التحديد، فهو يحث بين أنماط مختلفة من البشر، يختلفون في الأعمار والثقافات والميول، ولكن هناك عوامل ربما تنبئ باحتمالات أكثر للتوافق، منها:

1. الثقة المتبادلة.
2. عدم الكذب لأي سبب كان.
3. الرعاية والحنان المتبادل.
4. الاهتمام باهتمامات الطرف الآخر وتشجيعها.
5. إلغاء الحساسية تجاه الطرف الآخر .
6. الاستعداد لنكران الذات والتضحية في سبيل الطرف الآخر.
7. إظهار التعاطف والتراحم للطرف الآخر في أوقات الأزمات كالمرض أو أي أزمة أخرى.
8. مديح الطرف الآخر عندما يلاحظ أنه قام بشيء يستحق ذلك وعدم إخفاء ذلك، أو إرجاؤه إلى وقت آخر تحت أي مبرر.
9. إسماع الطرف الآخر كلمات الإطراء والتعبير عن الإعجاب به بين فترة وأخرى.

تأكيد الحب للطرف الآخر، واستغلال المناسبات لذلك بتقديم الهدايا مثلا، خاصة في مناسبات ذكرى الزواج أو غيرها.

توصيات ومقترحات:

1- الاستعداد النفسي للزواج اللازم لتحمل مسؤولياته، والاستعداد المادي من حيث تكاليفه ومطالبه.

2- الزواج في السن المناسب وهو العقد الثالث من العمر من 20-30 سنة حيث يكون الزوجان قد أكملا تعليمهما واستقرا في العمل.

3- الاختيار الموفق للزوج وما يتضمنه من تأن.

4- النضج الانفعالي وأساسه الحب المتبادل، والتودد بين الزوجين وقوامه قلب متعاطف، وعقل متفاهم، وجسم متجاذب، وهذا يؤكد العلاقة بين الحب والحياة.

5- إشباع الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية للزوجين.

6- حسن العشرة بين الزوجين، والاحترام، والتقدير، والتسامح، والتفاهم المتبادل بينهما، والثقة، والمكاشفة، وإسقاط الأقنعة، والتضحية المتبادلة، مع نوع من الإيثار بين الطرفين.

7- النضج الاجتماعي: يتضمن فهم الذات وتقبلها، والاستقلال الذاتي، والنجاح في القيام بالدور الزواجي في إطار توقعات الطرف الأخر، وتحمل المسؤولية تجاه الزوج والأولاد، والقدرة على إقامة العلاقات الاجتماعية، والاتصال، والتفاعل اللفظي وغير اللفظي الموجب، وإزالة الحواجز بين الطرفين، ومراعاة الواجبات والحقوق الزوجية.

8- تكافؤ شخصيتي الزوجين وتكاملها في عدد من الأبعاد، مثل: التكافؤ في الصحة النفسية والجسمية، وتكافؤ الحاجات، بمعني تكاملها، لا تناقضها، وتكافؤ القيم، بمعنى تقاربهما وليس تطابقها تمامًا، وتقارب العادات والميول، وتقارب المستوي الاجتماعي والاقتصادي، والتكافؤ الثقافي، بمعنى التقارب والتكافؤ في الدين والعقيدة.

العنف الأسري عند الأطفال

تعد الأسرة اللبنة الأولى في بناء الإنسان والمجتمع، وهي تلعب دوراً أساسياً في تكوين شخصية الإنسان، وفي تشكيل سلوكه في مختلف مراحل حياته، فالأسرة مؤسسة اجتماعية تقوم بوظائف اجتماعية وتربوية ونفسية، فعن طريقها يكتسب الأبناء المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة السائدة وفي المجتمع، ومن هنا تتضح أهمية دور الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء باعتبارها صاحبة الدور الأول والرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة، وما تتركه من بصمات واضحة على شخصية الأبناء.

والعنف الأسري الموجه نحو الأبناء ينطوي على العديد من العواقب والآثار التي تأخذ أشكالاً عديدة، جسدية، وصحية، ونفسية، ومن أهم هذه العواقب ومن أكثرها خطورة العواقب النفسية للعنف الأسري الموجه نحو الأبناء، كونها قد لا تكون ظاهرة بشكل واضح، ولكون آثارها تمتد إلى بقية حياته.

تعريف العنف الأسري :

العنف: هو ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات، وهو الفعل أو المعاملة التي تحدث ضرراً جسمانياً أو تدخلاً في الحرية الشخصية.

ويعرف العنف أيضاً: بأنه أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات قوية غير متكافئة في إطار نظام العمل بين المرأة والرجل داخل الأسرة، لما يمليه النظام الاقتصادي الاجتماعي السائد في المجتمع.

أما مفهوم العنف الأسري ضد الأبناء:

فهو كل استخدام للقوه بطريقة غير شرعية من قبل شخص بالغ في العائلة ضد أفراد آخرين من هذه العائلة.

أشكال العنف الأسري:

عند الحديث عن العنف الذي يمارس ضد الأطفال لا بد أن نذكر أشكالاً متعددة من العنف، منها:

1. العنف المنزلي.
2. العنف المدرسي.
3. عمالة الأطفال.
4. العنف في الشارع.
5. العنف الجنسي. (الاعتداءات الجنسية)
6. العنف ضد الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

أسباب العنف الأسري:

1. الأسباب الذاتية:

المقصود بها الدوافع التي تتبع من ذات الإنسان ونفسه، وتقوده نحو العنف الأسري.

2. الأسباب الاقتصادية: قد يكون لتدني مستوى المعيشة، أو عدم وجود فرص عمل بها دور بارز في عنف رب الأسرة على أطفاله، فالفقر يولد التوتر نتيجة عدم القدرة على إشباع الرغبات والاحتياجات المادية والمعنوية بشكل متزن.

3. الأسباب الاجتماعية:

أ- إشباع الميل للانتقام الذي يكون عند الكبار .

ب- الشعور بالمتعة والارتياح أثناء إيذاء الأطفال.

ت- وجود وقت فراغ كبير وعدم استثماره إيجابيا.

4. عمر الأم:

الأمهات الصغيرات أكثر عرضة لإساءة معاملة أطفالهن، حيث بينت الدراسة أن 95 ٪ من الأمهات اللواتي يسئن معاملة أطفالهن كانت أعمارهن دون العشرين، كذلك الأمهات المطلقات واللواتي يفتقرون للمساندة الاجتماعية والأسرية هن عرضة لإساءة أطفالهم.

5. تاريخ الوالدين من إساءة المعاملة لهم في الصغر:

قد يصدق المثل القائل نحن نربي أولادنا على ما تربينا عليه، فالآباء الذي أسيئت معاملتهم عندما كانوا صغاراً أكثر ميلاً لإساءة معاملة أطفالهم، وتعرف هذه الظاهرة بانتقال العنف عبر الأجيال.

الشباب والفراغ:

إن استثمار طاقات وإمكانات فراغ الشباب وأوقاتهم وتوظيفها لصالح خدمة البيئة والمجتمع المحلي، وبالتالي الإسهام في مسيرة النماء والإنماء للمجتمع، يعد إنجازاً رائعاً للقائمين على العمل الشبابي في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، فالقدرة على ملء وقت الفراغ بذكاء هو أحسن إنتاج للمدنية، كما يقول الفيلسوف البريطاني الشهير: "برتراند رسل"

مفهوم وقت الفراغ:

هناك أكثر من مفهوم لوقت الفراغ، منها ما تعدّ وقت الفراغ الوقت المتبقي بعد طرح ساعات العمل والنوم، ومنها ما يرى أن وقت الفراغ هو الوقت الحر الذي يفعل فيه الفرد ما يشاء.

الإسلام والفراغ:

لقد تميز الإسلام في نظرته لمسألة وقت الفراغ عن غيره من العقائد والإيديولوجيات الأرضية الأخرى، حيث نظر إلى وقت الفراغ باعتباره نعمة من نعم الله الكثيرة التي لا يشعر بها الإنسان فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الصدد: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" رواه البخاري.

لهذا كان الإسلام سباقاً في مسألة الاهتمام بالترويح عن النفس وقضاء أوقات الفراغ بطريقة عقلانية رشيدة ومنظمة، تحقق الاستثمار الأمثل لطاقات وقدرات الشباب لصالح عملية التنمية الشاملة للمجتمع، وقد أشار حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله إلى ضرورة الترويح عن النفس، وأشار إلى موضوع اللعب الذي قال فيه: إن له ثلاثة وظائف هي:

- يروض جسم الشباب ويقويه.
- يدخل السرور على قلبه.

- يريح الصبي والشاب من تعب الدرس، ويروح عن النفس كللها ومللها، مشيراً إلى أن اللهو المباح "اللهو مروح القلب، ومخفف عن أعباء الفكر، والقلوب إذا كرهت عميت".

أساليب قضاء وقت الفراغ:

هناك عدة أساليب قد يتبعها الشباب بوصفهم أفراداً وجماعات إرادياً ولا إرادياً، شعورياً أو لا شعورياً في قضاء أوقات الفراغ، أبرزها:

1- إما إضاعة الوقت وقتله من دون فائدة تعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والمنفعة، وفي هذه الحالة يقضي الشاب وقته بين التسكع في الشوارع، أو في لعب الورق والشطرنج وغيرها.

2- استثمار الوقت وتوظيف في نشاطات وهوايات شخصية بقصد إشباع رغبة ذاتية لدى الشباب، كالرسم مثلاً.

3- استثمار الوقت وتوظيفه بطريقة منظمة في نشاطات إيجابية متنوعة، بقصد تحقيق الترويح السليم، وإنماء الشخصية لدى الشباب، سواء كان هذا النشاط رياضياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو فنياً أو كشفياً أو إرشادياً أو دينياً، أو في خدمة البيئة والعمل التطوعي، أو في معسكرات شبابية للعمل والبناء، ومن شأن هذا الاستثمار أن يحقق الاستمتاع النفسي للشباب من خلال تخليصهم من كثير من التوترات والاضطرابات التي تعوق أداءهم لأدوارهم في المجتمع.

دور الشباب في التنمية:

يقول اللّه تعالى (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ويقول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم: "أوصيكم بالشباب خيراً، فإنهم أرق أفئدة، لقد بعثني اللّه بشيراً ونذيراً، فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ".

ويقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: "عليكم بمشاورة الصبيان وأخذ رأي الشباب فإن لهم آراء تفل الفواصل وتحطم الزوامل".

علينا أن ندرك نحن معشر الشباب أن التخلف بثالوثه الخطر (الفقر والجهل والمرض) في العالم الثالث ليس افتقاداً للنمو الاقتصادي والاجتماعي، وإنما هو في حقيقته تنمية مشوهة موجهة لخدمة الخارج وتابعة له، إنها الوجه الآخر لعملية واحدة هي نمو الرأسمالية الغربية، وفرض سيطرتها على العالم، والمطلوب اليوم من الشباب هو الوعي بأن التنمية الحقة هي التحرر من الاستعمار الاقتصادي والحضاري، لا سيما وأن أدبيات الفكر التنموي الحديث تشير إلى أن لكل مجتمع طريقته الخاصة في التنمية، طريقة محكومة بتراثه الحضاري، وموارده الطبيعية، والبنى الاقتصادية والاجتماعية القائمة والمتغيرة، والعلاقات مع العالم الخارجي، حيث لم يعد هناك حل نظري لقضية، كالاختيار بين الرأسمالية والاشتراكية، فقضية التنمية أعقد من ذلك بكثير، فمن يختار سياسياً واجتماعياً النظام الرأسمالي يمكن أن يبحث عن مقومات النجاح في هذا الطريق من واقع مجتمعه، وليس انبهاراً بنجاح الرأسمالية في الغرب، أو تسليماً غير نقدي لما.

تقوله النظريات الاقتصادية والاجتماعية عن هذا النظام، ومن يختار الاشتراكية عليه أن يعلم أنها لا تفرض بقرار سياسي، وإنما هي عملية تطور اقتصادي واجتماعي وحضاري طويل المدى، كما يرى منظروها الكبار.
لذلك لا يحل الاختيار السياسي بذاته مشكلات التنمية، ولا يحدد تلقائياً صورة المستقبل، إلا إذا كانت مجرد فكرة يوتوبية وأسطورية، ومن هنا كان تعدد الخيارات وضرورة التعرف إلى الواقع معرفة تامة ومتحررة، فكرياً مسألة في غاية الأهمية، وعلى الشباب في بلدان العالم الثالث أن يعملوا بشكل جدي على دفع المشاركة الجماهيرية الواعية في دفع عملية التنمية؛ لأن تأخير مثل هذه المشاركة الجماهيرية الواعية في دفع علمية التنمية يعني تكريس التخلف في البلدان النامية لسنوات قادمة، نحن أحوج ما نكون لتجاوزها بالمشاركة الواعية لخير حاضر ومستقبل شعوب العالم الثالث، وأن يسعوا إلى تأكيد النهج التحرري والمستقبل لتوجهات عملية التنمية.

ورفض علاقات التبعية، وتعزيز مقومات الاستقلال الوطني والقومي من خلال الاعتماد الجماعي على النفس، مع العمل على ضرورة توجه الخطط التنموية نحو إشباع الحاجات الأساسية للجماهير، مع العمل على منع استئثار النخب الاقتصادية والاجتماعية بالجانب الأعظم من ثمار التنمية والتحديث.

التوصيات:

علينا أن نسعى إلى إيجاد حياة مميزة لشباب هذا العالم بعامة، وشباب الوطن العربي والعالم الإسلامي بخاصة، حياة لا تعرف الخوف، أو الحقد، أو الكراهية، وإنما تزدهر بالعمل والإنتاج والعطاء والسعادة والرفاه والحب والجمال والإيمان والإيثار، بعيداً عن تهديدات الحروب المدمرة والمهلكة للحرث والنسل على ظهر هذا الكوكب الصغير، وفي فضائه الخارجي، جراء حمى الصراعات المتلاحقة بين العملاقين، ولعل الفكر الإسلامي بما يحويه من مبادئ سامية، ومثل روحية وخلقية عليا، مؤهل أكثر من غيره لتقديم أنموذج في الخلق والسلوك والممارسة والإنتاج والعطاء والتضحية والإيثار والمشاركة بفعالية في مسيرة النماء والإنماء للمجتمع المحلي والإنساني برمته، ولجميع شباب العالم التائه والباحث عن وسيلة الخلاص في مثل الأوضاع الدولية الراهنة.

www.anasi-c.com